أبطال أكتوبر

حازم هاشم

أبطال جبل المر



الناشر العربي

أبطال أكتوبر

أبطال جبل المر

حازم هاشم

دار الناشر العربى
الجيزة - جمهورية مصر العربية

رسوم داخلية : خميس حسن
الغلاف : إبراهيم سمرة

رقم الإيداع : ٩٥/٢٧٤٦
الترقيم الدولى : I.S.B.N : 977-276-040-1

موافقة وزارة الدفاع رقم ١٠٦٥ - رقم القيد ١٠٨٧١/٥/١/٢٢ - ١٩٩٤/٤/٢٦

كانت الخُطَّةُ تقتضى عبورَ أحد الألويةِ الميكانيكيةِ قناةَ السُّوَيْسِ ليكونَ بمثابةِ خَطٍّ دفاعٍ ثانٍ لإحدى الفِرَقِ.. وكانت مُهِمَّتُهُ هى استغلالَ نجاحِ تقدُّمِ الفرقةِ فى تحقيقِ اختراقٍ داخلَ صفوفِ العدوِّ.. وخلالَ الأيامِ الثلاثةِ الأُولَى من المعركةِ.. كان اللواءُ يتعرَّضُ لهجَمَاتٍ مضادَّةٍ قويةٍ ألحقت به خسائرَ فادحةً جداً.

وفى يوم ٩/١٠/١٩٧٣، كانت أسرابُ الطائراتِ تقتربُ على ارتفاعٍ منخفضٍ جداً.. وهى تحومُ فوقَ مواقعِ اللواءِ.. فتَتَصَدَّى لها قواتُ الدفاعِ الجوىِّ، وتحاولُ الدباباتُ اصْطِيَادَهَا مستَغِلَّةً انخفاضَ الطائراتِ وإمكانيةَ إصابَتِهَا.. ممَّا أدَّى إلى ارتباكِ الطائراتِ المعاديةِ.. واضطرارِهَا إلى إلقاءِ حمولَتِهَا كيفما اتفقَ خلفَ القواتِ المصريةِ فى محاولةٍ منها للهَرَبِ خفيفةً بعيداً عن متناولِ النيرانِ المصريةِ.. وأثناءَ الهروبِ ينجحُ أحدُ المقذوفاتِ المصريةِ فى الوصولِ إلى طائرةٍ معاديَةٍ من طرازِ «سكاى هوك» ويصيبُهَا فى مَقْتَلٍ.. ممَّا أدَّى إلى سُقُوطِهَا وَسْطَ تهليلِ الجنودِ وتكبيرَاتِهِمْ.. مما كان له الأثرُ الكبيرُ فى رَفْعِ الروحِ المعنويةِ للرجالِ.

وتصدرُ الأوامرُ للعقيدِ فتحى قائدِ القواتِ باللواءِ بالتقدُّمِ للاستيلاءِ على منطقةِ جبلِ المرِّ.. وكانت المهمةُ صعبةً.. إن لم تكن مستحيلةً.. إلا أن العقيدَ قبلَ تنفيذِهَا بدأ يجهِّزُ خُطَّتَهُ مع المقدَّمِ صلاحٍ رئيسِ العمليَّاتِ فى اللواءِ.. كانت الخطةُ تنحَصِرُ فى استغلالِ نيرانِ المدفعيةِ والصواريخِ المهاجِمَةِ للعدوِّ فى المنطقةِ المذكورةِ وهى جبلُ المرِّ من جبهتَيْنِ بالإضافةِ



إلى قيامِ مجموعةٍ من المشاةِ بمعاونةِ الدباباتِ بالمهاجمةِ من جهةِ اليمينِ ومجموعةٍ أخرى بنفسِ التشكيلِ والعناصرِ المهاجمةِ من جهةِ اليسارِ.. وأن تظلَّ مجموعةٌ كاملةٌ كاحتياطيٍّ لمعاونةِ أيٍّ من الجَبْهَتَيْنِ فى حالةِ الاضْطِرَارِ.. إلا أن مجموعةَ الاحتياطِ هذه تعرَّضَتْ لهجومٍ عنيفٍ جداً من العدوِّ.. وفى الساعةِ الثامنةِ والنصفِ من مساءِ يوم ٩ من أكتوبرَ.. بدأ العقيدُ فتحي يُصْدِرُ أوامرَهُ وتعلمياته ببدءِ التنفيذِ.. واندفَعَت الوحداتُ من مواقِعِهَا الموجودةِ شرقَ القناةِ فى اتجاهِهَا حَسَبَ الخُطَّةِ الموضوعةِ.

كانت الخطورةُ فى الموقعِ الذى يُرَادُ الهجومُ عليه فى أن معظمَ مدفعيةِ العدوِّ الأرضيةِ ودفاعَاتِهِ الجويةِ وصواريخِهِ متوسطةِ المَدَى

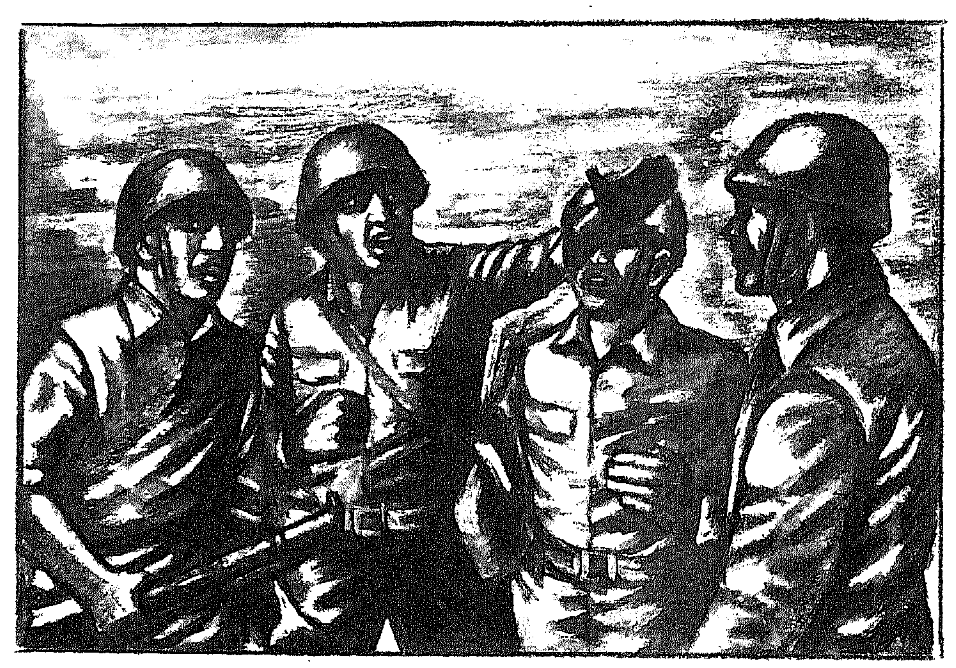
تتمَرْكَزُ فى هذا المكانِ.. فى جبلِ المُرِّ.. ولَمَّا كان تحرُّكُ أىِّ قواتٍ عادةً تصاحِبُهُ أدخنَةٌ وأتربَةٌ وضوضاءُ شديدةٌ وعاليةٌ خاصَّةً القواتِ المدعومةَ بدباباتٍ وآلياتٍ مدرعةٍ.. فإن أى تحرُّكٍ يجعَلُ العدوَّ يشعُرُ به.. ويُوَجِّهُ نيرَانَهُ فى اتجاهِ القواتِ المتحركةِ ويَقْصِفُهَا ويعرِّضُهَا للتشتيتِ والتفريقِ.. وربما جعل هذا القصفُ القيادةَ تنفصِلُ عن باقى التشكيلاتِ الرئيسيةِ.. ثم يبدأُ العدوُّ فى إطلاقِ صواريخِ إس.إس متوسطةِ المَدَى المشهورةِ بدقةِ تصويبِهَا على الأهدافِ وتحقيقِهَا نتائجَ عاليةً فى نسبةِ الخسائرِ.. فإن هذا هو ماتَمَّ بالضبطِ للقواتِ المصريةِ التى تحرَّكَتْ بقيادَةِ العقيدِ فتحى.

وتتحقَّقُ بعضُ أهدافِ العدوِّ فى إلحاقِ بعضِ الخسائرِ فى القواتِ المصريةِ.. إلا أن العقيدَ فتحى ينتَهِزُ فرصةَ هُدُوءِ نيرانِ مدفعيةِ العدوِّ.. ويَلْحَقُ بأفرادِ قُوَّاته.. ويطلبُ منها ومن قَادَتِه إطلاعَهُ على الموقفِ تمامًا.. وتَتَّضِحُ الصورةُ أمامَهُ جَيِّدًا.. فقد كان الموقفُ سَيِّئًا.. لقد أبلغَ المقدَّمُ غَالِبٌ أن قُوَّاته من المشاةِ تتقدَّمُ راجِلَةً.. إلا أن شِدَّةَ القصفِ سَبَّبَتْ له خسائرَ كبيرةً.. والقائدُ الآخرُ للمجموعةِ الثانيةِ سعدٌ يُبْلِغُ بأنه محاصرٌ من جميعِ الاتجاهاتِ وسقطَ المقدَّمُ سليمٌ قائدُ الدباباتِ مصابًا بجروحٍ وطلبَ رجالُهُ النجدةَ.. فأَمَرَهُم العقيدُ فتحى بإخلاءِ مَوْقِعِهِمْ فورًا.. وتعرَّضَت القوةُ لتدميرٍ شاملٍ حتى أنه لم تَتَبَقَّ سوى دبابةٍ واحدةٍ فقط هى التى بَقِيَتْ سليمةً ولم يَتِمَّ تدميرُهَا.. وساءَ الموقفُ تمامًا.. وينقلُ



العقيدُ فتحى الصورةَ إلى القيادةِ.. بينما كان إصرارُهُ يزدادُ داخلياً على أن يُنْهِيَ هو هذه المهمةَ برغمِ كُلِّ الظروفِ.. فقد قَرَّرَ الخروجَ عن التقليديةِ فى التنفيذِ.. وعدمَ الالتزامِ الحرفىِّ بالتنفيذِ.. فقد كان لابدَّ له من التحرُّكِ السريعِ.. وإنقاذِ الموقفِ بأىِّ ثمنٍ مستغلاً أن العدوَّ بدأت ثِقَتُهُ تزدادُ فى أن هذه المهمةَ لن تَتِمَّ.. خصوصاً بعد تدميرِ القوةِ الرئيسيةِ فى هذه المجموعةِ التى كانت تهاجِمُ المكانَ.. وأصبح فتحى فى حَيْرَةٍ.. بين الالتزامِ بالتنفيذِ بالصورةِ النَّمَطِيَّةِ.. أو عدمِ التنفيذِ عن طريقِ استغلالِ واقعِ الحالِ الذى أَمَامَهُ.. وماتَقْتَضِيهِ الظروفُ الحاليةُ.. وبين عدمِ التنفيذِ نتيجةَ انهيارِ الرُّوحِ المعنويةِ لرجالِهِ الذين فُوجِئُوا بما لاَقَوْهُ من مقاومةٍ غيرِ عاديةٍ من العدوِّ.. بل لقد وصلَ الأمرُ إلى أن أصبح العدوُّ فى حالةِ تَرَقُّبٍ لكلِّ حركةٍ.. ويصبُّ عليها نيرانَهُ بصورةٍ مكثَّفَةٍ جدا بغرضِ القضاءِ على هذه القوةِ من الجيشِ المصرىِّ.

لم يكن القرارُ سَهْلاً.. ولا مُمْكِنَ التنفيذِ.. بل إن بعضَ الرجالِ اعْتَبَرَهُ قراراً مجنوناً.. لأنه أَشْبَهُ بقرارِ الانتحارِ.. وبدأ بعضُ الرجالِ يحاوِلُونَ التَّهَرُّبَ من التنفيذِ أو التنصُّلَ من مسئوليةِ القيامِ بهذا الهجومِ المتوقَّعِ.. حتى إن العقيدَ فتحى بدأت تظهَرُ عليه علاماتُ التذَمُّرِ والضِّيقِ مما وصلَتْ إليه حالُ رجالِه.. ويشاهدُ مجموعةً من الضباطِ والجنودِ هائمةً على الطريقِ.. فيسأَلُهُمْ ليعرفَ أنهم مجموعةُ الصواريخِ بقيادةِ النقيبِ سميرٍ.. فيعطى لهم الأوامرَ بالتقدُّمِ.. ويشرحُ له سميرٌ الموقفَ ويوضِّحُ له صعوبةَ التنفيذِ وأسبابَهَا.. وأهمُّ هذه الأسبابِ وُعُورَةُ الأرضِ.. فما كان



من فتحى إلا أن استقلَّ سيارَتَهُ الجيبَّ الخفيفةَ.. وتقدَّمَ بها.. فلم يَجِدْ سميرٌ ورجالُهُ بُدّاً من أن يَتَّبِعُوا القائدَ.. وما إن شاهَدَ الرجالُ اليائسون من جدْوَى مايفعلُهُ فتحى.. قَائِدَهُمْ مندَفعًا أمامهم بسيَّارَتِهِ حتى وجَدُوا أَنْفُسَهُمْ بدونِ تفكيرٍ يتحرَّكُونَ صَوْبَ الجَبَلِ.. ولكن البعضَ منهم أصرَّ على مَوْقفه من الرفضِ.. فالصَّدْمَةُ كانت شديدةٌ.. وقوةُ الهجومِ الإسرائيلىِّ كانت أقْوَى من تَوَقُّعِهِمْ.. مما أفقدَهُمُ الثِّقَةَ فى نجاحِ أىِّ محاولةٍ يحاولون تنفيذَهَا.. لقد كان الموقفُ خطيراً.. ولم يكن أمامَ العقيدِ فتحى سوى أمْرَيْنِ لا ثالثَ لهما الأول: الانسحابُ وإيثارُ السلامةِ والبعدُ برجالهِ وماتَبَقَّى من مُعدَّاتِهِ عن التدميرِ والموتِ.. أما الثانى: فقد كان الهجومَ ومواصلةَ المحاولةِ مهما كانت الظروفُ.. ولكن فتحى أبعدَ كلَّ ما



كان يدورُ فى رأسِهِ من أفكارٍ.. إذ إنه لم يُرَجِّحْ سوى احتمالٍ واحدٍ وهو مواصلةُ الهجومِ مهما كانت المخاطرُ.. ومهما كانت النتائجُ.. ومهما كانت الصعابُ.. فهذا الاحتمالُ هو الاحتمالُ الوحيدُ والأخيرُ لاستردادِ الأرضِ والكرامةِ.. واستردادِ كلِّ شيءٍ.

بَزَغَتْ شمسُ اليومِ التالى.. وكانت المسافَةُ بين الموقِعِ والجبلِ لاتزيدُ على كيلومتْرَيْنِ من القوةِ الرئيسيةِ المتواجدةِ فى هذه النقطةِ.. والجبلُ ارتفاعُهُ لايزيدُ على ١١٧ متراً.. وكان عددُ الرجالِ المتَبَقِّينَ مع فتحى لايزيدُ على ثلاثين رجلاً منهم القَائِدُ.. ورئيسُ العملياتِ.. وقائدُ قوةِ المدفعيةِ.. وفَكَّرَ فى أن هذه المجموعةَ القليلةَ من الرجالِ إذا ظَلَّتْ مُخْتَفِيَةً فى محازاةِ الجبلِ.. فإنه سيسهُلُ اكتشافُهَا وسيَتِمُّ اصطيادُهَا.. ويظلُّ الجبلُ فى يَدِ الإسرائيليين.. ويظلُّ تهديدُهُم للقوةِ المصريةِ الرئيسيةِ شرقَ

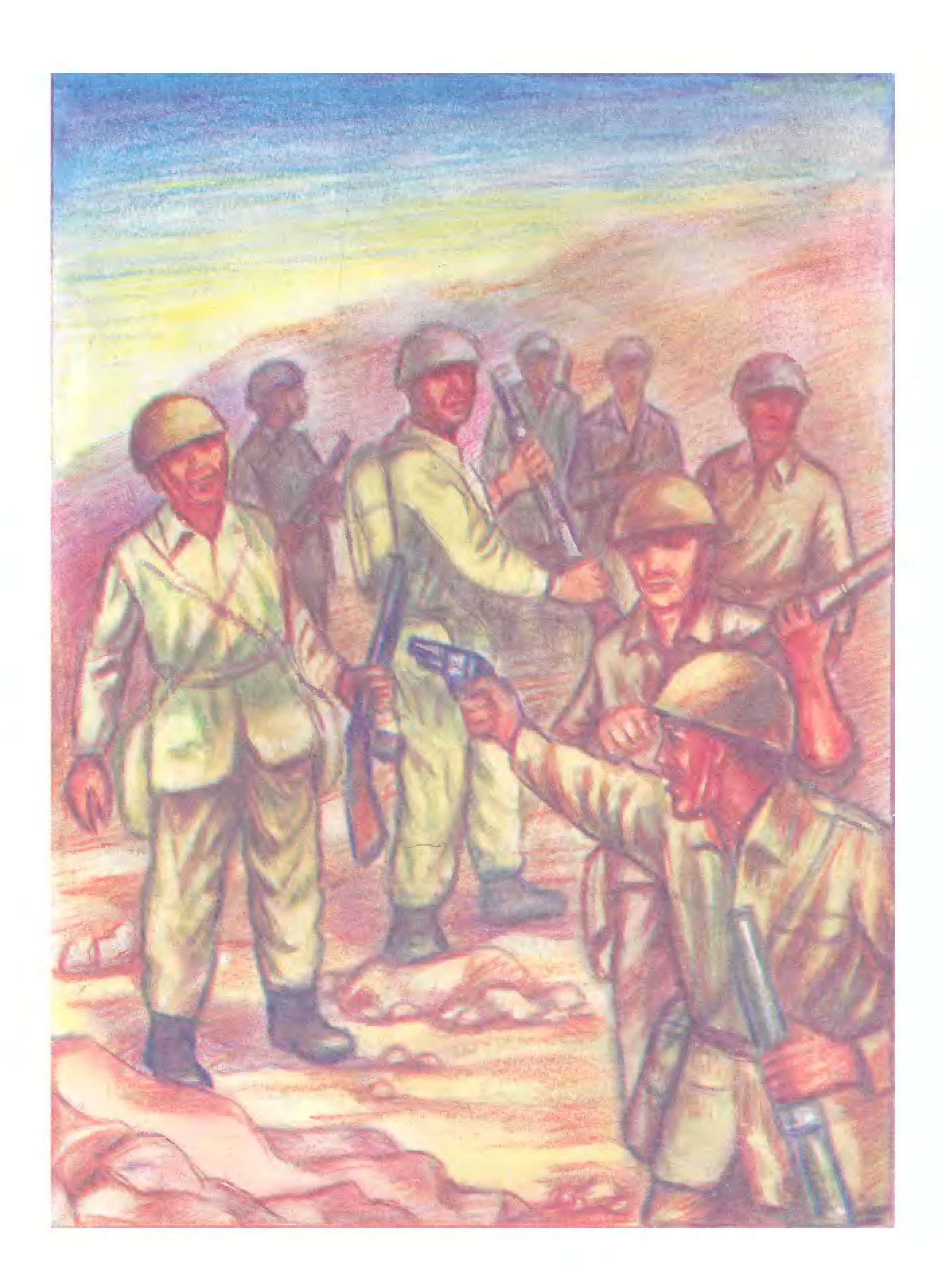




القناةِ وغرْبَهَا.. وفجأةً يَهُبُّ العقيدُ فتحى أمرًا المجموعةَ بالاقتحامِ.. وبالطبعِ.. فإن كثيرين منهم لم يُنَفِّذِ الأمرَ.. فهم بَشَرٌ عاديُّونَ.. ويُمْكِنُ أن يَتَمَلَّكَهُمْ الخوفُ.. وقد يَحْسَبُهَا أحدُهُمْ بِعَقْلِهِ بعيدًا عن حماسِ الجندىِّ.. فَيَجِدُ أنه قد يَمُوتُ خلالَ عمليةِ الاقتحامِ هذه.. فلا هو حَقَّقَ الهدفَ.. ولااحتفظَ بحيَاته.. فَكَرَّرَ العقيدُ فتحى الأمرَ مُهَدِّدًا مَنْ لايُنَفِّذُهُ بالضربِ بالرصاصِ تحتَ دَعْوَى عدمِ تنفيذِ الأمرِ العسكرىِّ أثناءَ المعركةِ فإنه يُطَبَّقُ عليه حكْمَ الخيانةِ العُظْمَى وهى الضربُ بالرَّصَاصِ.. وبرغمِ ذلك.. فإن البعضَ منهم لايتصَوَّرُ أن يَضْرِبَهُ قَائِدُهُ بالرصاص.. وأن هذا التهديدَ ليس إلا محاولةٌ لإرهابِهِمْ أو تَحْفِيزِهِمْ حتى يُنَفِّذُوا الأوامرَ ويتراجَعَ البعضُ منهم عن مَوْقفهِ.. ويستمرُّ البعضُ الآخَرُ على مَوْقفهِ..

فيُنَفِّذُ فتحي تهديدَهُ بأن يُصيبَ أحدَهُمْ بالرصاص.. فيَلْتَهِبُ حَمَاسُهُمْ.. أو يتضاعَفُ خَوْفُهُمْ.. فهم في الحالتَيْنِ إما مُصَابُونَ أو قَتْلَى فعلى الأقلِّ فإنهم يستجيبُون لتنفيذِ الأمرِ حتى لايُتَّهَمُوا بخيانَةِ وَطَنِهِمْ.. ويبدأُ التقدُّمُ.

وأثناءَ مسافةِ التقدُّمِ التى لاتَتَعَدَّى الألْفَيْ مِتْرٍ.. ومع ضآلةِ عددِ الأفراد المقتَحِمِينَ.. يلمحُ فتحى طلائعَ دباباتِ العدوِّ خلفَ إحدى القِبَابِ القريبةِ من جبلِ المرِّ.. ويتأكَّدُ من وجودِ دَبَّابَتَي اسْتِطْلاَعٍ.. فيَأْمُرُ سميرًا بإطلاقِ صَوَارِيخِهِ عليهما.. لكن يَسْقُطُ الصاروخُ بعيدًا عن الهَدَفِ.. وتَصْطَدِمُ بَقَايَاتُ قُوَّاتِ فتحى بِحَقْلِ ألغامٍ.. فتُضْطَرُّ للابتعادِ عن مجالِ العملياتِ وتَنْضَمُّ لمجموعةِ الاقتحامِ بقيادةِ الرائدِ على.. فتبدو مجموعةُ الاقتحامِ وكأنها قوةٌ كبيرةُ العددِ كما تَخَيَّلَ قائدُ المدرَّعاتِ الإسرائيليةِ الذى كان داخلَ إحدى دبابتي الاستطلاعِ.. واعتقد أن القواتِ المصريةَ قد بدأت فى احتلالِ الجبلِ بقواتٍ ضخمةٍ.. فيُصْدِرُ أوامرَهُ للدبابَتَيْنِ بالانسحابِ.. ويزيدُ هذا الأمرُ حماسَ المصريين.. فتَنْطَلِقُ قوةُ الاقتحامِ خلفَ الدبابتين إلا أن فتحى يلمحُ مجموعةً أخرى من الدباباتِ تُقَدَّرُ بِحَوَالَيْ اثنتَيْ عَشْرَةَ دبابةً أخرى.. تنطلق منسحبةً هاربةً إثْرَ دبابتى الاستطلاعِ.. وهم يتخيَّلُونَ أن القواتِ المصريةَ تهجمُ بصورةٍ مكثَّفَةٍ مركَّزَةٍ وهم لايدرون أن المهاجمين لايتعدَّوْنَ ثلاثين رجلاً.. ويُمْكِنُ التخلُّصُ منهم جميعًا بطلقةِ دبابةٍ واحدةٍ.. ويتمكَّنُ الرجالُ المقتحِمُونَ من الوصولِ إلى قِمَّةِ الجبلِ.. ثم يَهْبِطُونَ منها وهم مستمرُّون فى الهُتَافِ والتكبيرِ.. وقد تمكَّنَ أحدُ الجنودِ ويُدْعَى محمدًا بسلاحِهِ الشخصيِّ



الخفيفِ من اصطيادِ إحدى الدباباتِ المنسحبةِ.. مما زاد من ارتباكِ الدباباتِ الإسرائيليةِ.. وجعلها تسرعُ بالانسحابِ وهى تجرى فى كلِّ مكانٍ.. وهنا يَحْتَضِنُ العقيدُ فتحى الجندىَّ مُهَنِّئًا ومشجِّعًا.. وقد خلَعَ عليه تَرْقِيَةً إلى رُتْبَةٍ أعْلَى هى أقصى ما فى صَلاَحيَّاتِه وهى رُتْبَةُ الرَّقيبِ.. فيزدادُ حماسُ الرقيبِ وباقى زُمَلاَئِهِ.. وأمامَ ماحَدَثَ من تدميرِ الدبابةِ الإسرائيليةِ ومطاردةِ باقى الدباباتِ.. يظنُّ الإسرائيليون أن القواتِ المصريةِ تمكَّنَتْ من احتلالِ الجبلِ وقِمَّتِهِ.. وتمكَّنَتْ من تَحْصينِ مَوَاقعِهَا وحَشْدِ حشودِهَا أعلاه مما جعل الإسرائيليين يبدأون فى الانسحابِ مع بَطَّاريَّاتِ مدافعِهِمْ وصَوَاريخِهِمْ إس. إس وباقى عناصرِ الشئونِ الإداريةِ.. أى أنهم أَخْلَوا الجبلَ لمجموعةِ الاقتحامِ المكوَّنَةِ من ثلاثين فرداً لاغَيْرَ.. وتحقَّقَ فيهم قولُ اللّهِ عزَّ وجلَّ: «إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لايفقهون».

وخوفًا من أن تُطَوِّقَهُ القواتُ المصريةُ.. ينطلقُ العدوُّ شرقًا.. منسحبًا بكلِّ قواته هاربًا من جبلِ المرِّ.. ويرتدُّ فى فَوْضَى وانزعاجٍ من حُصُونِهِ التى شَيَّدَهَا من قبلُ وجعلَ منها أسطورةً على أساسِ أنها تتحمَّلُ قوةَ الضرباتِ وأعْنَفَهَا.. ويتركُ أسلحَتَه المتطورةَ والحديثةَ جداً أمامَ قوةٍ رمزيةٍ لاتزيدُ على ثلاثين رجلاً فَقَطْ.

ويسقطُ جبلُ المرِّ فى أيدى ثلاثين رجلاً.. ثلاثين رجلاً من المقاتلين الشرفاءِ المدافعين عن قَضِيَّةٍ.. هِىَ قضيةُ بلادِهِمْ وحريَّتِهِمْ وشرفِهِمْ



وعِرْضِهِمْ.. يسقطُ جبلُ المرِّ بعد أن ذاقت مدينةُ السُّوَيْسِ الباسلةُ من وطأةِ مانزل فَوْقَهَا من دانات المدفعيةِ الثقيلةِ والصواريخِ الإسرائيليةِ التى كانت تنزلُ فوقَ السويسِ مُشْعِلَةً النيرانَ فيها.. وتُذيقُ المرارةَ لقواتِ الدفاعِ عنها.. وكان كلُّ الأملِ فى السيطرةِ علي جبلِ المرِّ.. حتى تستريحَ السويسُ والقواتُ المدافعةُ عنها من هذا اللهيبِ الذى كان يسقطُ فَوْقَهَا كالمَطَرِ.. واستطاعَ الجنودُ البواسلُ الثلاثون أن يرفَعُوا العلمَ المصرىَّ فوقَ جبلِ المرِّ.. وكَرَّمُوا قَائِدَهُم الذى كان فى لحظةٍ سَيُفْرِغُ فيهم سلاَحَه تَقْتيلاً لعدمِ امتثالِهِمْ للأوامرِ التى لم تكن كما أَطلَقُوا عليها وَقْتَهَا أوامرَ وإنما كانت ضَرْبًا من ضروبِ الجنونِ أو التهوُّرِ.. ولكنه حبُّ الأرضِ والوطنِ.. فأطلقُوا اسْمَهُ على جبلِ المرِّ تخليداً له لتحريرِهِ جبلَ المرِّ الذى أصبحَ رمزًا للبطولةِ والتضحيةِ.





أبطال أكتوبر

أبطال جبل المر
الشرقاوى
الشهيد الحى
العائد
بطل حتى النهاية
بيان عسكرى ناقص
حسان والنقطة
رمضان كريم
صائد الأسرى
كتيبة الدمار
كتيبة طوسون
مهمة رحمى

